الحلقة (١)

هذا المقرر سيتم بإذن الله تناوله في عدة حلقات، نمر من خلالها على أقسام المنهج الخمسة، القسم الأول: الإسلام والعلم، والقسم الثاني: المكتبة والمخطوطات، والقسم الثالث: عن البحث وكيفية إعداده، والقسم الرابع: عن المصادر والمراجع وكيفية التعامل معها، القسم الخامس: هو توجيه في مجال التدريب على كتابة البحث، وهو توجيه في الجانب التطبيقي.

❖ **الإسلام والعلم: فيه عدة فقرات:**

أولاً: التعريف بالعلم:

ما المراد بالعلم؟ يطلق العلم على المعرفة والإدراك والإتقان، ويطلق على الإخبار، فيقال أعلمه وأخبره.

ويعرف بأنه: إدراك الشيء بحقيقته، **ويعرف** باعتباره علم قائم بذاته بأنه: مجموع مسائل وأصول كلية يجمعها وحدة واحدة، وتعالج بمنهج معين، فنقول مثال: علم الفقه، علم أصول الفقه، وعلم التوحيد، وكل علم له عدة مسائل تجمعها أصول كلية وينتهج فيه مناهج خاصة.

فهناك إذاً تعريف للعلم بوصفه **إدراك**، وتعريف بوصفه **اختصاصاً** في مجال معين من مجالات الدين أو مجالات الحياة.

ويعرف بأنه: معرفة المعلوم على ما هو به، وأنه صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً، وعلى أنه الجزم المطابق للحق، وصفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض.

كل تعريف من هذه التعريفات نظر إلى العلم من زاوية معينة، بعضها نظر للعلم كإدراك للحقائق وانكشاف لما هو مأمول أو لما هو مطلوب، وبعضهم نظر إلى العلم بوصفه اختصاصاً في مجال معين، وبعضهم نظر إلى العلم بوصفه نتيجة، جزم مطابق للحق، أو انكشاف أو إدراك لما ينتهي إليه أو بوظيفته:

١- من حيث وظيفته.
٢- من حيث نتيجته.
٣- من حيث اختصاصه بمجال معين.

من حيث وظيفته يعني لماذا كان العلم وماذا يؤدي من وظيفة، ومن حيث ما يفضي إليه أو نتيجته التي يتوصل إليها، ومن حيث كونه مختصاً بمجال من مجالات الدين أو الحياة.

❖ **أقسام العلم:**

١.**ضروري**: وهو ما لزم نفس المخلوق لزوماً لا يمكنه الفكاك منه والخروج عنه دون اختيار أو قصد، فمثلاً: هناك من العلوم ما جُبل الإنسان عليها فطريا مثل علم الإنسان أن (٢) أكبر من (١) وأن الكل أكبر من الجزء، وعلم الإنسان أن النقيضين لا يجتمعان، هذه من العلوم التي جبل عليها.

٢.**هناك من العلم ما يقع تلقائياً أو يحصل تلقائيا**، سواء أراده أو لم يرد ذلك، مثل ما يكون مصدره البصر أو السمع، حينما يقع البصر على شيء ينقل صورة عنه إلى الدماغ فيعلمه الإنسان مباشرة حتى ولو لم يرد العلم بالشيء، لأن البصر أشبه بالكاميرا التي تصور ما أمامها، كذلك ما تسمعه الأذن من أصوات وهو لا يريد السماع ولكن الأذن تلتقطه لأنها مفتوحة لسماع الأصوات، ولذلك فرقوا بين الاستماع والسماع، فكون الإنسان يسمع الأشياء هذا ضروري لا يمتنع إلا إذا أغلق سمعه، وإلا فهو سيسمع كل ما يكون في حدود سماعه، أما الاستماع فهو الإنصات وإرخاء السمع.

٣.**علوم البديهية، وبعضهم سماها ضرورية**: وهو مثل أن يعلم أن الجزء أصغر من الكل والنقيضين لا يجتمعا وهكذا.

٤.**العلم النظري**: ما احتاج إلى نظر واستدلال وتفكر حتى يصل إلى النتيجة.

٥.**العلم التجريبي**: وهو ما تتوسطه التجربة للوصول إلى العلم، تكون التجربة واسطة إلى العلم ليس فقط مجرد النظر العقلي.

٦.**العلم الحدسي**: وهو ما يجد الإنسان أثره في القلب دون تفكر أو تدبر.

❖العلم في الإسلام:

يطلق العلم على الشامل المحيط الذي هو علم الله عز وجل، ويطلق على العلم النسبي الذي هو علم المخلوق، وعلم المخلوق يتفرع منه علم ضروري جبلي، ومنه علم مصدره الحواس، ومنه علم يخضع للتجربة المنضبطة يسمى العلم التجريبي، ومنه علم نظري استدلالي عقلي ويسمى علوم عقلية.

❖العلم في المفهوم المعاصر:

في الثقافة الغربية ضيقوا مفهوم العلم وأخرج منه العديد مما يطلق عليه علماً كالعلم الضروري ونحوه من العلوم، وحددوه بأنه المعرفة المنسقة الناتجة عن الملاحظة والدراسة والتجريب لتحديد طبيعة الشيء المدروس وأصوله، فإذا لم يخضع الشيء للكم والقياس والإحصاء والتجريب لا يعتبر علماً، وبذلك يخرجون من نطاق العلم ما يتصل بالجانب الغيب فمثلاً: الوحي ونحوه لا يعتبرونه علماً ولا يعترفون به، وهنا الإشكال الذي دخل على المسلمين في نطاق وعيهم فأحدث بلبلة، حينما يطلب البعض: يقول تبين لي بطريقة علمية، فلا يقبل - وإن كان البعض مسلماً- لا يقبل الاستدلال بالقرآن والسنة وهكذا، وإنما يطالب الآخر بأن يأتيه بمعرفة أو شواهد من معرفة تجريبية أو معرفة عقلية يمكن أن يسلِّم بها، فهذا الأثر الذي حصل في بلاد المسلمين هو نتيجة الالتقاء مع الثقافة الغربية التي ضيقت مفهوم العلم، وأخرجت منه الوحي، وقصرته على ما يخضع لمنهج التجربة أو الاستنباط والاستدلال وفق المنطق المحدد علمياً، سواء كان المنهج الاستقرائي أو المنهج الاستنباطي أو نحو ذلك.

وهذا التنبيه حتى ينتبه إلى هذا الفرق الحاصل في مفهوم بين المسلمين وبين غيرهم، أو بين الثقافة

الإسلامية والثقافة الغربية، وهناك في الثقافة الغربية مسلَّمات معينة لابد من مراعاتها من ناحية العلم كالحتمية (أي القطعية يقينية)، وإن كان الآن تجاوزوا الحتمية إلى الاحتمالية والتجريبية والعمومية.

بعد أن عرّفنا العلم وبينا اتساع مفهوم العلم في الإسلام، وتضييقه في الثقافة الغربية بما يخرج الوحي؛ فلا يكون مصدراً للعلم بحسب الثقافة الغربية، وإنما هو بحسب الثقافة الإسلامية هو المصدر الأساس للعلم؛ لأنه من لدن عليم خبير، أحاط بكل شيء علماً.

وقد بين الله عز و جل أن ما يظهره للإنسان في الآفاق وفي الأنفس سيكون شاهدا للقرآن بأنه الحق، يقول سبحانه وتعالى :{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } الله يوجه وينبه بأن العلم منه ما يظهر تدريجياً وينكشف شيئاً فشيئاً بجهود الإنسان في تدخله وكشفه في نظره في المجال الكوني والمجال الإنساني، فنظره في حقيقة الإنسان وحاله وما يحتويه هذا الكيان، وفي نظره في الكون أن هذا النظر سيكون شاهداً على أن القرآن حق، فما يزال العلم يكتشف ويكتشف، وكلما اتسعت مساحة الاكتشاف في المجال الإنساني وفي المجال الكوني كلما كان ذلك مقرباً من القرآن الكريم، ونلاحظ من هذه الكشوفات أنها تكتشف حقائق أرشد أو أشار إليها القرآن الكريم، حتى إن بعض علماء الفلك أو العلماء المختصين بدراسة الإنسان من الناحية العضوية، أو علماء الطب أو نحوهم يذهلون أحياناً حينما يسمعون من علماء المسلمين آيات عن ظواهر لم يكتشفوها إلا في هذا العصر الحديث، وبعضهم يسلم، وبعضهم يرى في ذلك عجباً لما يراه من هذا التطابق بين منطق القرآن ومنطق العلم، وهذا ليس بمستغرب، لأن الوحي كلام الله عز وجل، والكون نتيجة فعله، وهو خلقه سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يناقض قوله فعله سبحانه وتعالى.

فالعلم وإن كان بهذا المفهوم الضيق فميزته أنه ينضبط، وبالتالي سيكون من حيث لا يريد أهله شاهداً للقرآن الكريم، وقد بدت بوادر كثيرة، ولاسيما في هذا العصر مع تقدم العلوم تبين هذا التطابق.

❖مكانة العلم في الشريعة الإسلامية:

عندما نتكلم عن الشريعة الإسلامية نتناول ذلك من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا نظرنا في القرآن الكريم هو بذاته علم، أوحاه الله عز و جل إلى نبيه ليبلغ الناس ويضعهم في المسار الصحيح الذي يؤدي بهم إلى سعادة الدارين، وكلام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ علم، علمه الله لكي يفسر ويوضح ويبين هذا الكتاب الذي أنزله الله عز وجل، وكان فيهما العلم: علم السعادة الذي يوصل الإنسان إلى هذا الخير، والبر، والأمن، والسلام في الدنيا والآخرة، بما يراعي جبلة الإنسان، لن تكون هناك جنة على الأرض! إنما الله بين أن وجود الإنسان على الأرض سيجعله في تعب، وشقاء، وبلاء، وعناء، وألم، لأن هذه طبيعتها، ومن الغفلة والخطأ أن يتصور الإنسان أنه يحصل

على السعادة الكاملة في هذه الدار، لذلك بين الله أن السعادة في دار أخرى، فكان آدم عليه السلام قبل أن يهبط إلى الأرض قيل له: { إِنَّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا ولا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤا فِيهَا ولا تَضْحَى }، لكن لما نزل قيل على الإنسان في الأرض: { إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ} ، { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} ، فالدنيا دار معاناة ومكابدة وابتلاء وامتحان والله يبلو الإنسان فيها بالخير والشر فتنة، ومرجعه إلى الله سبحانه وتعالى.

الشاهد: أن هذا العلم المتضمن (القرآن والسنة) هما علم أنزله الله لكي يكون الإنسان سعيداً في دنياه وأخراه، وبالتالي حمل من التوجيهات العظيمة على الحث على العلم وتعلمه والمسارعة إليه.

العلم الأصلي وهو علم السعادة وهو: معرفة الله ومعرفة أحكامه الموصلة إليه، والعلم النافع للإنسان في معاشه الذي جاءت الإشارات للإنسان بأن يتعلمه لأن فيه سعادة له، وفيه تحصيل لمعاشه، فكما أنه حث على علم السعادة كذلك على ما ينتفع به، فنجد آيات كثيرة تحث الإنسان على التعلم، وكذلك في السنة الشريفة، وحسبنا أن نستعرض هنا بعض هذه الآيات.

آيات تدل على عظم مكانة العلم في شرع الله:

قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فكان أولو العلم في المرتبة الثالثة، شهادة الله في المرتبة الأولى، ثم شهادة الملائكة في المرتبة الثانية، ثم شهادة أولو العلم، لأن **رأس العلم وأصله هو العلم بالله سبحانه وتعالى**، وهو الذي يثمر الخير في القلب، ويرفع الإنسان في الدرجات العلا، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، فحتى في العلم وجه سبحانه وتعالى أن الإنسان يرتفع فيه درجات، لما قال على سليمان عليه السلام وعن داوود: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً}، فالعلم موجود لدى الاثنين وزيد في الفهم لسليمان عليه السلام، فالعلم منه علم يؤخذ مباشرة، يسمع ويتضح به المراد من سماعه، وعلم يفهم فهما، وهذا الفهم فيه جانب إلهي وتوجيه وتيسير إلهي ولطف من الله سبحانه وتعالى، فتصل به الأذهان إلى هذه العلوم، لذلك وجه الله نبيه بقوله: {رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} ولم يُوجه إلى طلب الزيادة من شيء، النبي محمد صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الدنيا بجذافيرها رفضها واختار أن يبقى في حال الفقر وليس في حال الغنى، ولا يُفهم من ذلك أنه ذم للغنى، البعض قد يشطح به الذهن ويظن أن الإسلام ذم المال والاتجار ونحو ذلك وأوصى بالزهد، خطأً منهم في معنى الزهد.

والزهد الحقيقي: هو الزهد فيما سوى الله، زهد القلب فيما سوى الله، وإن كان تاجراً وإن كان عاملاً في دنياه بما يرضي الله سبحانه وتعالى لكن قلبه لا يتحرك شعرة، كما قال بعض السلف: (لو زالت الدنيا من يده لحظة لما تحرك قلبه شعرة، ولو أتته الدنيا لحظة لم يتحرك قلبه شعرة، لأن قلبه مع الله

سبحانه وتعالى) فهذا هو الزاهد الحقيقي، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم تأتيه الأموال فيقسمها قبل أن يقوم من مقامه لا يهتم من ذلك بشيء، فلا تشغل قلبه هذه الدنيا، هذا هو الزاهد الحقيقي، وليس الزاهد الذي يترك الدنيا وهو مهموم القلب بها، تخطر له في كل لحظة، يغضب لها ويرضى لها، وإن خرج منها شكلاً؛ ولكن المهم الخروج منها جوهراً وقلباً.

الشاهد: إن الله بين أن العلم يرفع الإنسان في الدرجات، وحصر الخشية في العلماء، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} لأن العلم يثمر في القلب نوراً ومعرفة أكثر، كلما ازداد العلم كان الشخص أكثر خشية لله، ولذلك نجد أن العلماء في مجال معين لاسيما في الطبيعة والفلك وغيره نجد أنهم أقرب إلى الاعتراف بالله والإيمان به وإجلاله من غيرهم، كما نرى جفاف القلوب عند الفلاسفة، لا نجد هذا الجفاف عند العلماء بالمجال الطبيعي والمجال الفلكي ونحوه من الأمور لما يرون من آيات الله العظيمة، ولذلك ترق قلوبهم وتنبهر بما تراه ، والبعض منهم قد يقول بالشهادة لله بأنه الخالق ويعترف بذلك، في حين أن العناد والجحود وغيره يظهر عند من يتفلسف نظرياً دون أن يماس هذا الوجود بنظامه وتناسقه وإبداع الخالق عز وجل فيه.

فهنا إنما قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فكلما كان الإنسان أعلم بالله كان أخشى له، ولذلك قيل أو ورد أن أول علم يرفع هو علم الخشوع، لأن الخشوع لا يكون إلا بتوافر الإيمان وبتعاظمه، وكلما قل الإيمان أو ضعف قلت نورانية القلب وبالتالي ارتفع من قلبه الخشوع والخشية لله سبحانه وتعالى، ولهذا نرى أن تكاثر هذا النوع من الذين يخشون الله أو قلته يترافق مع المجال الاجتماعي والحال الاجتماعية من الإقبال والإدبار كما قال عليه الصلاة و السلام: (إن لهذا الدين إقبالا وإدبار) فمن إقباله أن تكون الحال السائدة أو الأكثر حال الإيمان والتقوى والمسارعة إلى الله عز وجل، ومن إدباره أن يكون الفسق والفجور هو الظاهر وصاحب الخير والحق والإيمان مقموع.

الشاهد: أن الله تعالى أثنى على العلماء الذين يخشونه ويراقبونه، وأن من خصائص هذا العلم: إيراث القلب الخشية لله والتقوى له.